المحاضرة الخامسة : التغييرات العروضية

الزحافات والعلل:

تفعيلات الشعر قد لا تؤدى بصورتها الصحيحة، فقد يدخل تغيير في هيئتها أو حروفها: كتسكين متحرك أو حذفه أو حذف الساكن أو زيادته أو حذف أكثر من حرف أو زيادته، وهذا ما يسمى عند علماء العروض بالزحافات والعلل، وهذه التغييرات منها ما هو جائز ومنها ما هو لازم.

وربما يكسب ذلك التغيير المقاطع الصوتية حسنا في الإيقاع لا يتحقق من أداء التفعيلة بصورتها الأصلية، كما أن هذه التغيرات في التفاعيل العشر تمنح الشاعر حرية في التلوين الإيقاعي، بما يتناسب مع موضوعه وحالته النفسية واللغوية، وهذه التغييرات أيضا هي السبب الرئيس في التعدد الفني في أعاريض وأضرب البحور في الشعر العربي، حتى بلغت ثلاثة وستين نوعا أو تزيد، ولا شك أن ذلك فسحة للشعراء وتمكينا لهم من صوغ تجاربهم بالشكل الغني المؤثر.

تعريف الزحاف:

الزحاف لغة: الإسراع ومنه قوله تعالى: إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً " أي مسرعين إلى قتالكم، وفي (لسان العرب) " والزحاف في الشعر: معروف، سمي بذلك لثقله.

والزحاف إذا دخل التفعيلة أسرع النطق بها وذلك لنقص حروفها بالحذف أو حركاتها بالتسكين

الزحاف اصطلاحا: تغيير مختص بثواني الأسباب يدخل العروض والضرب والحشو، إذ حل لم يلزم تكراره في بقية القصيدة، إلا إذا جرى مجرى العلة كقبض الطويل وخبن البسيط.
والزحاف أيضا هو تغيير يلحق ثواني الأسباب الخفيفة والثقيلة؛ لأن الأوتاد لا تتغير، ويكون بتسكين المتحرك أو حذفه، ويقع في أول التفعيلة أو وسطها أو آخرها وفي الأعاريض والضروب أو في غيرها ولكنه لا يلتزم في سائر القصيدة.
والزحاف ينحصر في تسكين المتحرك أو حذفه أو حذف الساكن، وقد تقلل تلك الزحافات والعلل من الرتابة وتكسرها، حيث تخفف صرامة الوزن (حركية الإيقاع بين الثقل والخفة) وتلونه بالاعتماد على الإحساس في المقام الأول، وتعد لدى الدارسين المعاصرين عاملا من عوامل تنوع الوزن في الشعر التقليدي[1]

ويحدث الزحاف انسيابا إيقاعيا يترجم عمق إحساس الشاعر، بحسب "محسن أطميش" الذي ربط الزحاف بالجو النفسي وتغيراته في القصيدة، فالزحاف يزداد في المواقف الانفعالية على حد رأيه؛ لكونها (المواقف) حذف أو تغيير، يؤدي إلى اختصار الزمن فيتفق مع هذه الحالات التي تتطلب السرعة[2]

والزحافات والعلل عبارة عن تغيرات تدخل على أجزاء الميزان الشعري، ويلجأ إليها الشعراء أحيانا للتخفيف من قيود الوزن، ولكنها ليست تسهيلات مطلقة، بل هي مقيدة بقواعد معينة.

أنواع الزحاف:

الزحاف نوعان:

مفرد بسيط: وهو الذي يصيب التفعيلة مرة واحدة؛ أي هو التغيير الذي يطرأ على سبب واحد منها فقط[3]، وهو ثمانية أنواع نوضحها في الجدول الآتي:

الرقم	اسم الزحاف	تعريفه ما يدخله من التفاعيل	ما يدخله من التفاعيل	صورة التفعيلة بعد دخوله	وزنها بعد دخوله	البحور
1	الإضمار	تسكين الثاني المتحرك	متَفَاعِلُنْ	مُتْفَاعِلُنْ وتنقل إلى مستفعلن	0//0/0/	الكامل
2	الخبن	حذف الثاني الساكن	مستفعلن	مُتفَعِلُنْ وتنقل إلى مفاعلن	0//0//	المجتث، البسيط ، المنسرح، الخفيف
			مستفع لن	مُتفَعِ لَنْ	0//0//	المقتضب، الرجز، المتدارك الرمل، المديد، السريع
			فاعِلُنْ	فَعِلُنْ	0///	
			فاعِلَاتُنْ	فَعِلاتُنْ	0/0///	المنسرح
			مَفعولاتُ	مَعُولاتُ وتنقل إلى فعولاتُ أو مفاعيل	/0/0//	
3	الوقص	حذف الثاني المتحرك	مُتَفاعِلُنْ	مُفَاعِلُنْ	0//0//	الكامل
4	الطَيّ	حذف الرابع الساكن	مُستَفعِلُنْ	مُستَعِلَنْ وتنقل إلى مفْتَعِلُنْ	0///0/	البسيط ، الرجز، المنسرح، السريع، المقتضب
			مفْعُولاتُ	مَفعُلاتُ وتنقل إلى فاعِلاتُ	/0//0/	
5	العصب	تسكين الخامس المتحرك	مُفَاعلَتُنْ	مُفَاعلْتُنْ وتنقل إلى مفاعيلن	0/0/0//	الوافر
6	العقل	حذف الخامس المتحرك	مُفَاعلَتُن	مُفاعَتُنْ وتنقل إلى مفاعلُنْ	0//0//	الوافر
7	القبض	حذف الخامس الساكن	فعولن	فعولُ	/0//	الطويل والمتقارب الهزج والمضارع
			مفاعيلن	مفاعِلُنْ	0//0//	
8	الكف	حذف السابع	فاعلاتن	فاعلاتُ	/0//0/	المديد ، الرمل، الخفيف

		الساكن	فاع لاتن	فاع لات	/0//0/	المضارع الطويل، الهزج المجتث
			مفاعيلن	مفاعيل	//0/0/	
			مستفعلن	مستفعِ لُ	//0/0/	

الزحاف المزدوج المركب، وذلك عندما يصيب التفعيلة زحافان اثنان أي تغيران وهو ما كان في موضعين من التفعيلة.

اسم الزحاف	معناه	التفاعيل التي يدخلها	تحول التفعيلة بعد دخوله	رمز التفعيلة بعد دخوله	البحور
الخبل	حذف الثاني والرابع الساكنين خبن + طي	مستفعلن	مُتَعلن	0////	البسيط + الرجز+ المنسرح
		مفعولات	معلات	/0///	
الخزل	تسكين الثاني المتحرك وحذف الرابع الساكن الإضمار+الطي	متفاعلن	مُفْعلُن	0///0/	الكامل
الشكل	حذف الثاني والسابع الساكنين الخبن+ الكف	فاعلاتن	فعِلاتُ	/0///	الخفيف الرمل
		مستفع لن	متفع ل	//0//	المديد والمجتث
النقص	تسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن العصب+ الكف	مفاعلتن	مُفاعلتُ	//0/0/	الوافر

تعريف العلة لغة:

العلة اصطلاحا: تغيير يطرأ على الأعاريض والأضرب فقط، ويجب إن وقع في عروض أو ضرب أن يقع في غيره من الأعاريض والأضرب أي إنه إذا وقع وجب التزامه في سائر أبيات القصيدة، والعلة نوعان:

علل الزيادة، وهي ثلاث موضحة في الجدول الآتي:

م	اسم العلة	تعريفها	ما تدخله من التفاعيل	الصورة	وزنها بعد دخول العلة	البحور

1	الترفيل	زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع	متفاعلن	متفاعلن تن	0/0//0///	الكامل
			فاعلن	فاعلن تن	/0/0//0/	المتدارك
2	التذييل	زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع	متفاعلن	متفاعلن ن	00//0///	الكامل
			فاعلن	فاعلن ن	00//0/	المتدارك
			مستفعلن	مستفعلن ن	00//0/0/	البسيط
3	التسبيغ الاسباغ	زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف	فاعلاتن	فاعلاتن ن	00/0//0/	الرمل

علل النقص، وهي تسع موضحة في الجدول الآتي:

م	اسم العلة	تعريفه	ما تدخله من التفاعيل	صورة التفعيلة بعد دخولها	وزنها بعد دخولها	البحور
	الحذف	ذهاب السبب الخفيف من آخر التفعيلة	فعولن	فعو	0//	المتقارب
			مفاعيلن	مفاعي وتنتقل إلى فعولن	0/0//	الهزج الطويل
			فاعلاتن	فاعلا وتنتقل إلى فاعلن	0//0/	الرمل، الخفيف، المديد
2	القطع	حذف ساكن الوتد المجموع آخر التفعيلة وتسكين ما قبله	فاعلن	فاعل	0/0/	المتدارك
			متفاعلن	متفاعل	0/0///	الكامل
			مستفعلن	مستفعل	0/0/0/	الرجز، البسيط
3	البتر	ذهاب السبب الخفيف من آخر التفعيلة، ثم حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله الحذف + القطع	فعولن	فع	0/	المتقارب
			فاعلاتن	فاعل وتنتقل إلى فعْلُن	0/0/	المديد
4	القصر	حذف ساكن السبب	فعولن	فعول	00//	المتقارب

	الخفيف آخر التفعيلة وتسكين ما قبله	**فاعلاتن**	**فاعلاتْ وتنتقل إلى فاعلان**	**00//0/**	**الرمل الخفيف، المديد**
		مستفع لن	**مستفع لْ**	**0/0/0/**	
5	**القطف**	**حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة مع تسكين الخامس المتحرك حذف + عصب**	**مفاعلتن**	**مفاعل وتنتقل إلى فعولن**	**0/0//**	**الوافر**
6	**الحذذ**	**حذف الوتد المجموع**	**متفاعلن**	**متفا وتنتقل إلى فعِلُن**	**0///**	**الكامل**
7	**الصلم**	**حذف الوتد المفروق**	**مفعولاتُ**	**مفعو وتنتقل إلى فعْلُن**	**0/0/**	**السريع**
8	**الكسف**	**حذف السابع المتحرك**		**مفعولاً وتنتقل إلى مفعولن**	**0/0/0/**	
9	**الوقف**	**تسكين السابع المتحرك**		**مفعولاتْ**	**00/0/0/**	

العلل الجارية مجرى الزحاف:

هناك نوع من العلل يجري مجرى الزحاف في عدم التزامه، بل جاز تركه والعود إلى الأصل وهذه العلل **أربع** نوضحها فيما يلي:

التشعيث: وهو حذف أول الوتد، وذلك عندما يدخل فاعلاتن(0/0//0/) في ضرب الخفيف أو المجتث فتصبح فالاتن (0/0/0/) أو حينما تصبح فاعلن(0//0/) فالن(0/0/)

ومثال ذلك قول الشاعر:

لَيسَ المَيت من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

الحذف: وهو ذهاب السبب الخفيف من آخر التفعيلة، وذلك في فعولن(//0/0) في العروض الأولى في بحر المتقارب فتصبح فعو(//0) كقول الشاعر:

بها نبض من أهل السواد يدرس أنساب أهل الفلا

الخزم: وهو زيادة حرف أو أكثر في أول صدر البيت أو أاعلن فالنول عجزه في بعض البحور، وهو لا يخلو من نفرة،

الخرم: وهو إسقاط أول الوتد المجموع في //0/0 تصبح /0/0 ومن أمثلته قول الشاعر:**من بحر المضارع (مفاعيلن، فاع لاتن)**

سوف أهدي لسلمى ثناء على /0//0 /0//0/0 //0/0/ /0//0/0 (فاعلن/ فاعلاتن/ مفاعيلُ/ فاعلاتن) فلو أضيفت واو إلى سوف لاستقام البيت دون خرم والباقي نادرة وهي: الثرم، والشتر والخرب والعضب والقصم، والجمم، والعقص

المقارنة بين الزحاف والعلة:

يتوافق العروض والعلة في بعض الأمور ويختلفان في بعضها: أما توافقهما فمن ثلاث نواح:هي:

مطلق الحذف، الدخول على العروض والضرب، الدخول على الأسباب.

ويختلفان في ثلاثة أمور هي

الزحاف مختص بثواني الأسباب فلا يدخل على أول الأسباب.

إذا دخل الزحاف في تفعيلة ما فإنه لا يلزم تكراره فيما يقابله إلا إذا جرى مجرى العلة لكن العلة إذا دخلت لزمت ما لم تجري مجرى الزحاف.

الزحاف يدخل الحشو والعلة لا تدخله إلا إذا جرت مجرى الزحاف كالتشعيث والحذف وغيرهما.

الزحاف لا يكون بزيادة بعكس العلة فالزحاف نقص والعلة زيادة تارة ونقص تارة أخرى.[4]